## المشروع النقدي عند محمد أركون

**تمهيد**:

يعتبر أركون من أهم المفكرين الجزائريين الذين صنعوا الحدث الفكري في الأوساط الفلسفية العربية والإسلامية ، وقد كانت أطروحاته حول الدين والتراث والعلمانية والانسنة والحداثة تثير الكثير من النقاش والجدل ، بين معارض ومؤيد لهذه الفتوحات البحثية الجديدة. ولد أركون في 1928 بقرية ثاوريرت ميمون بني يني لولاية تيزي وزو توفي سنة **2010** ، من أهم مؤلفاته: الفكر العربي، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، العلمنة والدين، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي. فما هي المعالم الكبرى للمشروع الاركوني؟ وما هي الأصول الفكرية التي يستند عليها؟

## 1 – أزمة العقل الإسلامي:

يرى محمد أركون أن الفكر الإسلامي يعاني من أزمة جوهرية ، تجعله بعيد من أن يدخل في المشاركة في صناعة الحداثة المعاصرة، لا يزال هذا العقل يجتر ، المقولات والأفكار والمفاهيم التي أنتجت بالماضي، وبالتالي فهو عقل غارق في الايدولوجيا ولم يدخل بعد في مجال العلم النقدي، فلا يزال الفكر الإسلامي المعاصر يفكر من خلال اطر وفضاء القرون الوسطى، مستندا على البديهيات والمسلمات ويتصور أن هناك حقيقة مطلقة يمتلكها، على العكس من العقل الغربي الذي مارس في داخل المسيحية، وفي داخل تاريخه، عملية نقدية صارمة ، أخرجته من وثوقيته ودغمائيته.

فلا يزال العقل الإسلامي يفكر في مشكلات القرن العشرين من منظار القرون الوسطى ولا تزال تصوراته حول العالم والتاريخ والإنسان مغلفة بغلاف ديني كهنوتي، حيث أقام هذا العقل حول نفسه سياجات احتمائية ، تمنع الآخرين من اقتحامه،يتعلق الأمر بالتفكير من خلال الايدولوجيا أي تلك النزعة التي تقدس الذات، وأيضا التفكير بواسطة امتلاك الحقيقة المطلقة.

يقول أركون" والعقلية الدغمائية ترتكز أساسا على ثنائية ضدية هي: نظام الإيمان او العقائد ونظام من اللايمان واللاعقائد بكلمة أخرى أكثر وضوحا فان العقلية الدغمائية ترتبط بشدة وبصرامة بمجموعة من المبادئ العقائدية وترفض بنفس الشدة والصرامة مجموعة أخرى وتعتبرها لاغيه ولا معنى لها" فلا يمكن للعرب والمسلمين من ان يتقدموا إلا إذا مارسوا حداثة في داخل العقل الإسلامي نفسه.

## 2 – نقد العقل الإسلامي:

ولكن كيف يتم تحديث العقل الإسلامي؟ يجيب أركون بتأكيده على إبراز مدى تاريخيته، أي انه نتاج ظروف اجتماعية وثقافية وسياسية واقتصادية وبالتالي يمكن تجاوزه يقول أركون" لهذا السبب تحدثت عن تاريخية العقل ، اقصد الطابع المتغير والمتحول للعقل وبالتالي الطابع المتغير للعقلانية المنتجة عن طريق العقل ، هذا في نهاية المطاف معنى نقدي للعقل الإسلامي ، فالعقل الإسلامي ليس شيئا مطلقا يقبع خارج المكان والزمان وإنما هو شئ مرتبط بحيثيات وظروف محددة تماما" ، يحاول أركون أن يقوم بنقد العقل الإسلامي كمهمة ضرورية تماثل المهمة التي قام بها فلاسفة أوروبا على تراثهم، وبذلك يمكن للمسلم أن ينظر إلى تراثه وفق نظرة نقدية علمية ونسبية ، ويتخلص من تلك النظرة التقديسية التي يسقطها على تراثه.

## 3- أهداف نقد العقل الإسلامي عند أركون:

١ -نزع الاسطرة ( النظرة الأسطورية ) من على الكثير من النصوص التراثية ككتب التفسير وكتب الفقه والنظر إليها أنها نتاج ظروف تاريخية. يمكن تجاوزها

٢ -الانفتاح على العلوم الإنسانية والاجتماعية الغربية واعتبارها مجرد وسائل وأدوات للفهم

٣ -فتح الباب لإبداع العقل في التأسيس لرؤى وتصورات جديدة حول الكون والحياة والإنسان والله وهو ما يسميه أركون بالحداثة الحقيقية.

## ٤ -الحداثة والتحديث عند محمد أركون:

يرى محمد أركون أن العالم العربي لا يعرف حداثة حقيقية، صحيح أن بعض واجهات المدن العربية قد تغيرت وأصبحت مماثلة لنظيرتها في الغرب وأمريكا واليابان وصحيح أيضا أن الإنسان المسلم قد يستخدم التقنية الحديثة مما أخترع في الغرب إلا أن العقل الإسلامي بالرغم من هذه الحداثة الظاهرة لا يزال يعيش في القرون الوسطى، في مفاهيمه وتصوراته حيث لا يزال عامل القبيلة والعشيرة والدم متغلغلا في العلاقات الاجتماعية والسياسية ولا يزال تفسيره للأشياء تفسيرا خرافيا وسحريا وما يزال قابعا تحت سلطة الفرد والمتسلط وخاضعا لسلطة القبيلة يقول أركون: "إن أول شيء ينبغي أن نقوم به هو التمييز بين الحداثة المادية والحداثة العقلية أقصد أن هناك خلط بين مصطلحي الحداثة والتحديث فلا يدلان على نفس الشيء، فالتحديث هو إدخال التقنية والمخترعات الحديثة إلى الساحة العربية

الإسلامية أما الحداثة فهي موقف الروح أمام مشكلة المعرفة ، إنها موقف الروح أمام كل المناهج التي يستخدمها العقل للتوصل إلى معرفة ملموسة للواقع.

يريد أركون حداثة العقل ورؤية جديدة إلى العالم، وليس مجرد نقل آلي ميكانيكي لمنتجات الحداثة الغربية، والحداثة العقلية التي يريدها أركون هي تبني العلمنة بوصفها رؤية عقلية متجددة ومنفتحة على الإنسان والآخر والدين والمعرفة، إنها موقف عقلي نسبي من الأشياء والحقائق، إلا أنها مرتبطة بنشاط العقل الإنساني المبدع لدواته باستمرار وليست رؤية جاهزة مستلهمة من الدين كما أن الحداثة الحقيقية هي التي تتقبل المنهجيات الإنسانية والاجتماعية الحديثة.

## المحاضرة الخامسة:

### ٥ منهج أركون في قراءة التراث الإسلامي:

يحاول أركون أن ينفصل منهجيا عن القراءات التي تمت على التراث الإسلامي، فهو من جهة ينتقد القراءة الكلاسيكية الإيديولوجية للتراث الإسلامي لأنها في حد اعتقاده مجرد قراءة دفاعية وتقديسية لمنتجات الثقافة الإسلامية وليس لها موقف نقدي منها أو بعبارة أخرى القراءة التمجيدية للتراث لا تبحث عن ثغرات الثقافة الإسلامية بقدر ما تتوجه للدفاع عنها والتمجيد والتقديس والوثوقية لا تنتج حداثة ولا تقدم أما القراءة الأخرى التي ينتقدها أركون فهي القراءة الإستشراقية، هذه القراءة بالرغم من بعدها العلمي والإنتقادي إلا أنها لم تتخلص من البعد الذاتي للحضارة الغربية والمسيحية والاستعمارية، فالاستشراق جاء ليعزز تواجد الاستعمار في البلاد الإسلامية.

نجد محمد أركون يتموضع ضمن القراءتين بقراءة أخرى جديدة يسميها في الكثير من أبحاثة بالإسلاميات التطبيقية، والسؤال الذي يطرح ما مضمون هذه القراءة، لا شك أن أركون يتبنى بعض المناهج الغربية في قراءته للتراث العربي، لأنها هي السبيل في تقدمهم وحصول مرادهم في النهضة، يقول: " إذا ما قبل المسلمون المعاصرون أن ينفتحوا على هذه المنهجيات والعلوم الحديثة فإنهم سوف يستطيعون زحزحة الصخرة من مكانها وتجديد نظرتهم للظاهرة الدينية وأعتقد أن تحرير المجتمعات الإسلامية عربية كانت أم غير عربية يبدأ من هنا."، وبالتالي إن نقد العقل الإسلامي يكون من خلال تبني ما أنتجه العقل الغربي في ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية فهي الكفيلة بالكشف عن مواضع الأوهام والخيالات التي أحيطت بالعقل الإسلامي في إنتاجه للمعرفة وتصوراته للعالم، فمهمة هذه المنهجيات هو تحرير العقل الإسلامي من شبكة الخيالات والأوهام التي ألحقت حول

هذه المعارف بإبراز بعدها التاريخي، يقول محمد أركون:" هذه العلوم لا بد من ممارستها والإحاطة بها لمن يريد الخروج بالفكر الإسلامي من التقليد والترديد للشعارات الشكلية الخاصة بالخطاب الإيديولوجي إلى الاعتماد المتحرر للعقل المبدع للأفكار المنفتحة على الاكتشافات الحديثة وكثيرا ما ألححت على ضرورة تطبيق الألسنية والتاريخ والسوسيولوجيا والأنثروبولوجيا... إلى ميادين الثقافة الإسلامية.

## ٦ أهداف المنهجيات المطبقة على العقل الإسلامي:

يعتقد أركون أنه إذا أراد الإسلام أن يكون بمستوى الحداثة أن يقبل في بنيته الروح النقدية حتى تجعل منه عقيدة وتراث مرن في كل مكان وزمان فمثلما مارست المجتمعات الأوروبية نقدها على التراث ، فعلى الفكر الإسلامي أن يقوم بهذه المهمة من أجل تحريره من الدغمائية والوثوقية التي ينسجن بها، وبالتالي سيتحرر المجتمع العربي من الصراعات المذهبية والإثنية التي تظهر من حين لآخر.

هكذا يعتقد أركون أنه مثلما سارت المسيحية في تطورها التاريخي على سلسلة من المراجعات والانتقادات المستمرة قام بها فلاسفة ومتنوروا أوروبا ، على الإسلام أن يخضع لنفس السيرورة التاريخية، وبعبارة أخرى إذا كانت أوروبا قد تقدمت عندما مارست نقدا جذريا على المسيحية فكذلك المسلمون إذا أرادوا أن يتقدموا عليهم أن يمارسوا نفس النقد بنفس الدرجة والقوة الذي مورس في أوروبا على المسيحية، يقول أركون:" بسبب تطور المجتمعات الأوروبية على كافة الأصعدة وتخلف المجتمعات الإسلامية على كافة الأصعدة أيضا ،وهي التي لم تتحرر بذلك من التفسيرات المثالية والجوهرانية الجامدة التي تلقي اللوم كله على العقائد الدينية للبشر، فالمنهجيات الحديثة لعلم الإبستيمولوجيا المعاصرة وللعقل النقدي وهي مناهج لا تقاوم ولاترد وهي المناهج التي طبقت على التراث المسيحي الأوروبي وأدت إلى انطلاقة الشعوب وتحررها."

## نقد وتقييم:

يمكن القول أن محمد أركون مارس الفعل الفلسفي الحقيقي في أبعاده المختلفة، فلقد طرح الكثير من الأسئلة المحرجة التي لا تزال تصنع الحدث المعرفي في العالم العربي والإسلامي باستمرار، إذ استنهض الكثير من المفكرين ليردوا عليه بالتأييد أو بالنفي أو بالمراجعة أو التأويل كما أن السؤال الفلسفي الاركوني كان محرجا مستفزا وصادما، فالفعل الفلسفي الحقيقي لا يهب إجابات ولا يمنح تصورات جاهزة

بل يخرج السؤال الفلسفي من عقل الفيلسوف ليصدم القارئ، يثير الاستفزاز عند الوثوقيين ليراجعوا مقولاتهم أو يدفعهم إلى التفكير بجد معه حتى وإن كانوا لا يتبنون مقولاته، فما يمكن أن نتعلمه من أركون هو هذه الجرأة المعرفية التي يتبناها ويفتخر بها يقول: "إني أحرص على الالتزام بمبادئ المعرفة العلمية واحترام حقوقها مهما يكن الثمن الإيديولوجي والسيكولوجي والاجتماعي الذي ينبغي دفعه للقيام بذلك باهظا."

ومع ذلك بقي المشروع الاركوني حبيس المنهجيات الغربية والتي وقع في أسرها لم يستطع أن يمارس نقدا في داخل العقل الإسلامي من خلال آليات العقل الإسلامي نفسه أو من خلال ابتكار أدوات معرفية وعقلية تكون موضوعية وليست نتاج المسار الحداثي الأوروبي، يعني وبعبارة أدق إن المنهجيات التي طبقها أركون على العقل الإسلامي هي مستوردة وبهذا المعنى سيبقى نقله كما يرى الكثير مفصول عن النقد الذي يكون من خلال العقل الإسلامي نفسه، وأخيرا إن نقد بعض الحقائق المطلقة وبعض المسلمات والبديهيات يحيي الإنسان في ريبة وشك وتيه وجودي، ففي أثناء المحن والأزمات لا يحتمي الإنسان إلا بالمسلمات الإعتقادية التي يؤمن بها وهي التي توازن وجوده الوجداني ليعيش مطمئنا في عالم سريع ومتحول ومتغير كثيرا لأزمات فإذا ما تم التشكيك في اليقينيات فهذا معناه أن يفقد الإنسان ثقته في الحياة، وختاما ليس بالضرورة أن ما عرفته المسيحية في ظهورها وتكونها هو ما عرفه الإسلام، فالإسلام شيء والمسيحية شيء آخر.